

من علماء اللغة في الجنوب الجزائري

عبقري توات الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري الجزائري التواتي

One of the linguists in southern Algeria

The genius of Tawat, Muhammad bin oba Al-Mazmari, Algerian
Tawati

أ.د. عبد القادر بقادر

مخبر التراث اللغوي والأدبي بالجنوب الشرقي الجزائري

قسم اللغة والأدب العربي كلية الآداب واللغات جامعة ورقلة

Bakader.abdelkader@univ-ouargla.dz

تاريخ الإرسال: 2024/05/11 - تاريخ القبول: 2024/05/18 - تاريخ النشر: 2024/06/01

ملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية شخصية علمية جزائرية لها إسهاماتها في الدراسات اللغوية عبر تاريخ الجزائر العميق والبعيد؛ وفي جنوب الجزائر خلال القرنين الحادي عشر، والثاني عشر (11-12) الهجريين، السابع عشر الميلادي ظهر العلامة الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري الجزائري التواتي بأعمال لغوية في غاية الدقة والعمق؛ فقد ألف وكتب في الفقه، وفي الشعر، والنحو، وفي الصرف، وفي العروض... واستطاع بفضل عبقريته وذكائه أن يلقب بالعبقري؛ وهو كذلك إذا استطاع أن يجمع إليه خلق كثير من الطلبة حيثما حل وارتحل، فكان له تلاميذ في مختلف الأماكن التي حل بها، وقد تناول العديد من الباحثين أعمال الشيخ سيدي محمد بن أب، ولكن كل باحث درسه من زاوية معينة، وفي هذه الورقة البحثية سوف نتناول أعماله كلها، وسوف نعرضها عرضا موجزا حيث يستطيع القارئ أن يلمّ بالشخصية ويتعرف على إسهاماتها اللغوية.

متبعين في هذا المنهج الوصفي واصفين به أعماله وإسهاماته في حفظ التراث اللغوي العربي عموما والجزائري خصوصا، كما نعتمد على المنهج التاريخي الذي يساعدنا في الوقوف على محطات حياته مستنبطين منها عوامل نبوغه وقوة شخصيته وتأثيره فيمن حوله.

الكلمات المفتاحية: الجزائر - محمد بن أب المزمري - التراث اللغوي - عبقري توات - علماء اللغة.

المؤلف المرسل: عبد القادر بقادر، الإيميل bakader.abdelkader@univ-ouargla.dz

One of the linguists in southern Algeria

The genius of Tawat, Muhammad bin oba Al-Mazmari, Algerian Tawati

Summary:

This research paper deals with an Algerian scientific figure who has contributed to linguistic studies throughout the deep and distant history of Algeria. In southern Algeria, during the eleventh and twelfth centuries (11-12) AH, and the seventeenth century AD, the scholar Sheikh Sidi Muhammad bin oba Al-Mazmari Al-Jazairi Al-Tawati appeared with linguistic works of the utmost precision and depth. He wrote and wrote on jurisprudence, poetry, grammar, morphology, and prosody...

Thanks to his genius and intelligence, he was able to be called a genius. This is also the case if he was able to gather a large number of students to him wherever he settled and traveled, so he had students in the various places he settled in. Many researchers have dealt with the works of Sheikh Sidi Muhammad bin oba, but each researcher studied him from a specific angle, and in this research paper we will We will discuss all of his works, and we will present them briefly so that the reader can get acquainted with the character and learn about his linguistic contributions.

We follow this descriptive approach, describing his works and contributions to preserving the Arabic linguistic heritage in general and the Algerian linguistic heritage in particular. We also rely on the historical approach, which helps us identify the stages of his life, inferring from them the factors of his genius, the strength of his personality, and his influence on those around him.

Keywords: Algeria - Muhammad bin oba Al-Mazmari - linguistic heritage - Abaryi Twat - linguists..

المقدمة:

انجبت الجزائر عبر تاريخها البعيد علماء في مختلف العلوم والمعارف إلا أن بعضهم لفهم النسيان بردائه، وأهملهم التاريخ، ولم يذكر لهم ما أسهموا به في تاريخ الحضارة العالمية، الذي لا يعترف بالحدود الجغرافية، ولا بالحدود السياسية، وذلك لأنه يجب النظر إلى الحضارة الإنسانية، على أنها كائن حي ينمو ويتطور، وكل أمة وجيل يضع فيه بصمته، والجزائر لها إسهاماتها وبصماتها في التطور العلمي والحضاري العالميين.

ومن بين علماء الجزائر الذين كان لهم إسهام في اللغة العربية نجد الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري الجزائري التواتي وهو من الجنوب الجزائري، حيث استطاع أن يسهم في حفظ التراث اللغوي العربي في أعمال كثيرة ومتعددة، لو نشرت وخرجت إلى حيز الضوء لكان لها وزنها العلمي في العالم.

لقد كتب عن الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري العديد من الباحثين إلا أنهم تناولوه من زوايا مختلفة، وهذا البحث يتناول أعمال الرجل في مختلف الفنون اللغوية والأدبية في محاولة لإعطاء الرجل حقه؛ فهو عروضي، ونحوي، وفقهه، وشاعر مفلق، ورحالة...

نبذة عن واحة توات مسقط رأس الشيخ محمد بن أب المزمري:

تقع واحة توات في الجنوب الغربي من الجزائر، مترامية الأطراف تتشكل من ثلاثة أقاليم هي: توات العليا (قورارة)، وتوات الوسطى (توات)، وتوات السفلى (تديكلت) وتعرف هذه الأقاليم في مجموعها بواحة توات، اختلفت الآراء حول تسميتها بهذا الاسم؛ فمنهم من أرجعها إلى مرض يصيب القدمين¹، ومنهم من أرجعها إلى الأتوات التي كانت تصل إلى المخزن المغربي²، ومنهم من أرجعها إلى أصل لغوي أمازيغي وهي المنطقة التي تقع أسفل الصدر³، ومنهم من أرجع أصل التسمية إلى بعد المنطقة عن العمران وأنها مواتية لنفي العصاة ولخارجين عن الحاكم⁴

تعد واحة توات منطقة عبور لموقعها الجغرافي الذي ميزها؛ فقد كانت تمر بها العديد من القوافل التجارية التي تقصد الشمال من الجنوب والعكس، وأخرى كانت تقصد الغرب من الشرق والعكس كذلك، ونتج عن هذا الموقع أن كانت واحة توات مركزا تجاريا بامتياز وازدهرت بها التجارة وأقيمت بها الزوايا ودور العلم فنتج عن ذلك حركة علمية قوية استطاعت أن تؤثر في العديد من المناطق المجاورة لها وبشكل خاصة غرب القارة الإفريقية.

وكان للموقع الجغرافي لتوات الأثر الكبير في تنوع سكانها نظرا لبعده عن مراكز السلطة والحكم والصراع الناتج عنهما؛ مما جعل الكثير من القبائل تهاجر إليها من المغرب الأقصى والجنوب الوهراني وحتى من ليبيا والجزائر في الشمال، ونتج عن هذا تركيبة سكانية ساهمت في خلق نسيج اجتماعي وسياسي

1 - ينظر: تاريخ السودان، عبد الرحمان السعدي، طبعة هوداس، باريس، 1858م، ص: 7.

2 - ينظر: درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، محمد بن عبد الكريم البكري، مخطوط بخزانة كوسام، 6.

3 - ينظر: أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر، أحمد بوساحة، دار هومة، د ط، 2002م، ص: 79.

4 - ينظر: نقل الرواة عن من أبداع قصور توات، محمد بن المبروك البداوي، مخطوطة بخزانة الجعفريين ببودا، ص: 4.

يتناسب ووضع الواحات في الصحراء، وارتبطت هذه التركيبة السكانية الجديدة في توات بعلاقات متعددة مع البدو الرحل والزوايا ومراكز السلطة القريبة منها.

لقد استطاع سكان توات أن يسيروا أمورهم الحياتية الداخلية بأنفسهم، على الرغم من المحاولات العديدة للمخزن المغربي بسط نفوذه على الواحة وذلك نتيجة مرور القوافل القادمة من المغرب نحو السودان، والمشرق العربي، كما عرف عن أهل توات "ضعفاء مستضعفون لقلّة ضعف أهلها وهضم قوة النفوس بها كثر فيها الصالحون والزهاد وأرباب القلوب"⁵، وتوات "لا تكره ظالما ولا تمنع غانما وهي أضعف بلاد المغرب قاطبة"⁶

وما يهمننا هنا هو الحركة العلمية التي نشأت في واحة توات وما ساعد على قيامها وتطورها وازدهارها، وكما قلنا سابقا فإن الموقع الجغرافي للواحة ساعد كثيرا في جلب العلماء والأولياء والصالحين للواحة واستقرارهم بها، زيادة على الموقع الجغرافي هناك المناخ الصحراوي المتميز بالحرارة المرتفعة وبعد الواحة عن المناطق الأهلة بالسكان، وكذا بعدها عن مراكز الصراع السياسي كل هذا وغيره كان أمرا مهياً لأن تكون واحة توات منطقة جلب للعلم والعلماء.

فقد انتقل إلى توات العديد من القبائل العربية نازحة من المغرب أو من المشرق هروبا من الأمور السياسية والصراع على الحكم والسلطة من أمثال الأدارسة والسعديين من المغرب، والفاطميين والهلاليين من المشرق العربي، كما كان للعلماء الذين هاجروا إلى توات واستوطنوها الدور الكبير الذي ستلعبه الواحة مستقبلا في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية في إفريقيا، حيث انتشرت بربوع توات العديد من زوايا العلم والدين، التي استقبلت طلبة من توات ومن غيرها لتقلي العلم وخاصة علوم اللغة العربية والعلوم الشرعية، ونذكر من العلماء والصالحين الذين قدموا إلى توات واستوطنوها على سبيل المثال لا الحصر مولاي سليمان بن علي القادم من فاس سنة (580هـ-1184م)، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي القادم من تلمسان عام (882هـ-1478م)، والشيخ العبدلاوي بن الطيب الفزاني القادم من ليبيا عام (992هـ-1584م)، والشيخ سيدي يحيى بن يدير بن عتيق التلسي عام (845هـ) وتولى بها القضاء، والشيخ سيدي

5 - درة الأقالام في أخبار المغرب بعد الإسلام، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنيطي التواتي، مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي بكوسام، ص: 11.

6 - درة الأقالام في أخبار المغرب بعد الإسلام، ص: 11.

عبد الله بن أبي بكر العصنوني سنة (862هـ) وتولى القضاء بها بعد سيدي يحيى التليلسي⁷، وغيرهم كثير
قد لا يتسع المقام لذكرهم⁸

ومن بين العلماء الذين كان لهم صيت كبير في توات وخارجا نجد العلامة الشيخ محمد بن أب
المزمري الذي استطاع بفضل نكائه وعبقريته أن يبرع في كثير من علوم اللغة والفقه، فقد استطاع أن يؤلف
في مختلف علوم اللغة من صرف ونحو وعروض، كما كان له باع في التأليف في الفقه، وقيامه بشرح
لغوية لمتون كثيرة سوف نفق عندها في الأسطر القادمة بحول الله تعالى، فمن هو محمد بن اب المزمري؟
وما هي أهم أعماله اللغوية؟

مولده ونشأته وطلبه للعلم:

كنيته أبو عبد الله، واسمه محمد يعود نسبه إلى قرية زمورة، وهو محمد بن أب بن أحمد بن عثمان
بن أبي بكر المزمري نسيا، التواتي مولدا ونشأة، القوراري وفاة، ولد بقصر أولاد الحاج بتيدكالت (أولف
حاليا) سنة 1094هـ-1683م، وبها نشأ وتربى كما تلقى علومه الأولى فيها على يد شيوخها ومعلميها،
وبعد أن اشتد عوده انتقل إلى قصر زاوية كنته حيث مكث بها طويلا ينهل من رجالها فاتخذها مسكنا له
دراسا ومدرسا، ثم انتقل إلى قصر تمنطيط التي كانت العاصمة العلمية لواحة توات دون منازع لما احتوت
عليه من العلماء، كما كانت العاصمة الاقتصادية والتجارية لتوسطها لتوات، فأخذ صاحبنا من علمائها ما
يسر الله له من العلوم اللغوية والفقهية.

ولما كان طالب العلم لا يشبع ولا يقنع بما بين يديه من العلوم قام الشيخ سيدي محمد بن أب
بجولة في البلاد العربية والإسلامية بحثا عن التبحر في العلوم؛ فقد زار مدينة فاس، وشنقيط، وتتمبكتو،
وتلمسان، وكانت له بها صولات وجولات تارة متعلما وأخرى معلما، ما أكسبه شهرة ومكانة علمية فاقت
حدود توات، فصار محل تقدير واحترام حيث حل وارتحل، وقد استقر به المقام بقصر تميمون.

لقد كان تعلم الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري تارة عن طريق الشيوخ والجلوس إليهم في
حلقاتهم هنا أو هناك، وكما أن هناك من العلوم التي كان في تعلمها عصاميا لم يكن له فيها شيوخ ولم
يأخذها من أحد بل اعتمد على نفسها ومطالعتها للكتب والبحث والدراسة، وعلوم أخرى أخذها ببركة الأولياء

⁷ - ينظر: درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، ص: 18-19.

⁸ - ينظر: "المؤرخون والكتابة التاريخية في منطقة توات ما بين القرنين 12 و14هـ (18 و20م)", مبارك جعفري، مجلة
عصور الجديدة، ع: 3-4، (عدد خاص)، خريف 1432هـ/2011م، شتاء 1433هـ/1012م، جامعة وهران 1، ص: 276، وما
بعدها.

الصالحين؛ وسوف نأتي لتفصيل ما ذكرنا، لقد أخذ علوم الفقه عن شيوخ أجلاء خلال تجواله وبحثه عن العلم كعلم الفقه الذي أخذه عن شيوخ بمسقط رأسه قصر أولاد الحاج بأولف، وشيوخ قصر زاوية كنته، أما علم العروض والقوافي فقد كان فيها عصاميا ولم يتناولها من أي شيخ، ويقول ابنه سيدي ضيف الله عن ذلك: "أما الخرجية فإنه قرأ منها أبياتا على بعض علماء القبلة، فلم يفتح له فيها، وعلقت همته بها، فقصد قبر الولي الصالح الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، فطلب فيه الفتح من الله تعالى، واستشفع بالولي المذكور، ثم رجع، وذلك في أيام عيد ثم صرف همته لها واشتغل بمطالعة شروحيها، وأعمل فكره فيها، فلم تمض تلك الأيام حتى فتح له فيها ببركة ذلك الشيخ نفعنا الله به"⁹.

أما علم النحو فقد أخذه عن الولي الصالح سيدي أحمد التوجي الذي يعد من شيوخه ويقول ابنه سيدي ضيف الله عن الحادثة التي تناول بها هذا لعلم: "أما النحو فعلى يد الولي الصالح سيد أحمد التوجي، وذلك أن والدي لما رحل لسجلماسة مر به في قرية تسفاوت فطلب منه أن يقرأه أبياتا من الألفية، فأجابه إلى ذلك، وقرأ له نحو بيتين، ثم وقف ينظر يمينا وشمالا على عادته، فتعلق الشيخ بطرف ثوبه، وطلب منه أن يكمل له تلك الأبيات، وألح عليه، فاعترتة حالة الجذب، وقال له: اشتر مني النحو فنظر فوجد في طرفه موزونتين فأعطاهما إياه...فرجع إلى بلده، واشتغل بالنظر والمراجعة، والنظر لشروحيها والتدبر فيها وفي غيرها من كتب النحو"¹⁰.

لقد استطاع الشيخ سيدي محمد بن أب أن يكون بارعا في علوم شتى كان له فيها قصب السبق والنبوغ؛ فقد كتب في العديد من الفنون العلمية مثل الفقه والنحو والصرف والعروض، وكل ذلك كان يصب في الجانب التعليمي؛ حيث كان ينظم المنثورات فقها ونحوا ومن أمثلة ذلك فقد نظم أحكام السهو في الصلاة لسيدي الأخدري وسماه "العبقري في نظم سهو الأخدري" ونظم مقدمة ابن أجيروم في النحو في ثلاث منظومات، كما كان له أعمال أخرى في علم العروض وسوف نعرض ذلك كله في موضعه ان شاء الله تعالى.

عوامل عبقريته:

هناك عوامل عديدة اجتمعت في تكوين شخصية عبقرى توات الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري نحاول ذكرها في الآتي:

⁹ - رحلتنا لزيارة قبر الوالد، 1/376-377.

¹⁰ - رحلتي لزيارة قبر الوالد، 1/374-376.

- عصره وما وجد فيه من حركة علمية نشيطة بواحة توات فقد كان في عصره عدد كبير من العلماء الذين كان لهم الباع الطويل في العلم والمعرفة، والذين كان ينتقل بينهم من واحد إلى آخر.
- كثرة الزوايا العلمية في توات وهو من بين العوامل التي ساعد الشيخ سيدي محمد بن أب في التنقل بينها والأخذ من شيوخها.
- انتشار المكتبات وخزائن المخطوطات بربوع واحة توات حيث كان لكل زاوية ولكل شيخ مكتبته وخزائنه التي تضم عددا من الكتب العلمية والفقهية واللغوية والطبية....
- الموقع الاستراتيجي لواحة توات حيث كانت كما قلنا أنفا منطقة عبور للقوافل التجارية التي كانت تحمل معها الكتب والعلماء فكان بإمكان العلماء التنقل في حماية تلك القوافل التجارية التي كان يرافقها مقاتلون لتوفير الحماية للتجار.

شيوخه

لقد تعدد شيوخ محمد بن أب المزمري وذلك لكثرة تجواله وبحثه عن العلوم والاستزادة منها وسوف نحاول ذكر بعضهم طلبا للاختصار في الكتابة سوف نكتفي بذكرهم والإحالة إلى الكتابات التي ترجمت لهم:

- علي بوسماح¹¹ "من أحواز تلمسان، كان إماما عالما متقنا في فنون شتى، وله اليد الطولى في الفقه والعقائد"¹²
- الشيخ سيدي يوسف أحنصال¹³ وهو شيخه في الطريقة مات مقتولا¹⁴
- الشيخ محمد الصالح الرقادي (ت، ق، 12هـ)

11 - لم نعثر له على ترجمة. وذكره ابن المترجم له ضمن شيوخ والده.

12 - رحلتي لزيارة قبر الوالد، 373/1.

13 - لم نعثر له على ترجمة.

14 - ينظر: رحلتي لزيارة قبر الوالد، 373/1

- الشيخ أحمد التوجي¹⁵ (ت، ق، 12هـ) أخذ عنه الشيخ سيدي محمد بن أب علم النحو، وكانت الطريقة التي أخذ بها علم النحو عن هذا الشيخ هي طريقة الفتح ببركة الصالحين كما سبقت لإشارة إلى ذلك.
- محمد الصالح بن المقداد¹⁶ (ت، ق 12)
- الشيخ عمر الكنتي (ت، 1157هـ - 1744م): هو عمر بن محمد المصطفى بن أحمد الرقادي الكنتي، كان فصيحاً نحويًا لغويًا فقيهاً¹⁷ وشاعراً أديباً. أخذ عنه الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري أثناء إقامته في قصر زاوية كنته¹⁸.
- أبو إسحاق سيدي إبراهيم ملايخاف كان حياً في القرن الثاني عشر الهجري: ذكر سيدي ضيف الله ابن سيدي محمد بن أب أن أباه لما "ذهب لسجلماسة حضر مجلس العلامة الأستاذ أبي إسحاق سيدي إبراهيم الملايخاف في الألفية أياما، فلم يُفتح له فيها، فرجع إلى بلده."¹⁹

تلاميذه: كان الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري جوالاً في البلاد فتتلمذ على يديه خلق كثير في كل مكان كان يحل فيه يجتمع عليه الطلاب يغترفون من بحر علمه بركاته وقد ذكر ابنه في رحلته عن تلاميذ والده: "أخذ عنه جماعة... وكان جوالاً في البلاد أسمع صحيح البخاري في عدة مواضع، وكانت

15 - هو الشيخ سيدي أحمد التوجي مدفون بين بدتي عباني وتسفوات قصران من قصور بلدية فنوغيل بولاية ادرار وهو من جملة الصالحين سمي على اسم والده لأن والده توفي وهو في بطن أمه، قدم جده الأكبر إلى توات سنة 723هـ. (ينظر: رحلتي لزيارة قبر الوالد، هامش رقم (1)، 375/1).

16 - لم نعثر له على ترجمة، (ينظر: محمد بن أب المزمري الجزائري التواتي وجهوده في النحو، عماري عبد الله، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2010م، ص: 25).

17 - لم نعثر له على ترجمة.

18 - ينظر: محمد بن أب المزمري الجزائري التواتي وجهوده في النحو، ص: 26.

19 - رحلتي لزيارة قبر الوالد، 376/1.

تصدر عنه غرائب في النحو والتصريف²⁰ وسوف نقف على ذكر بعضهم على سبيل المثال لا الحصر أشهرهم:

- سيدي أحمد: يذكره ابنه في رحلته إلا أننا لم نقف له معلومة غير اسمه حيث قال: "أخذ عنه جماعة منهم سيدي أحمد المذكور، قرأ عليه الخزرجية"²¹.
- الشيخ أبو زيد عبد الرحمان بن عمر التينيلاني (ت، 1189هـ - 1775م): كان عالماً عاملاً حافظاً ثاقب الذهن فصيح اللسان انتهت إليه رئاسة الفقه في الديار التواتية، أخذ عن عدد من شيخ توات منهم والده سيدي عمر بن عبد القادر التينيلاني، كما تتلمذ على يديه عدد من الشيوخ منهم الشيخ سيدي محمد الزجلوي (ابن العالم) ألف مختصر السمين الحلبي في إعراب القرآن الكريم توفي بمصر عند عودته من الحج يوم 29 صفر 1189هـ، ودفن بمقبرة المنوفية بالقاهرة.²²
- ابنه ضيف الله بن محمد بن أب (وُلِدَ: 16 شوال 1128هـ - 03 أكتوبر 1716م)

مؤلفاته:

للشيخ سيدي محمد بن أب المزمري العديد من المؤلفات منها المنظوم والمنثور، كما كان له باع طويل في قرض الشعر فقد كان ينشد "الشعر بديهة من غير استشاحذ قريحة"²³، ويقول عن قريحته في قول الشعر:

تقرد إياس وبالجود حاتم
ينازعني فيه فذلك ظالم²⁴

إذا ساد بالإقادم عمر وبالذكا
فإن شعاري صنعة الشعر فالذي

20 - رحلتي لزيارة قبر الوالد، 377/1.

21 - رحلتي لزيارة قبر الوالد، 377/1.

22 - ينظر: جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التتمطي التواتي (ت 1374هـ - 1955م)، مخطوط بخزانة زاوية المهديّة، أدرار، ص: 33-34.

23 - رحلتي لزيارة قبر الوالد، 390/1.

ويقول كذلك:

وفزت بدر الشعر إذ غصت بحره
فحاز نظامي فيه أبدع صنعتي
وأمرى سلم الاتصال ومن يرم
ومثلي لنيل الدر من بحره أهل
من الله لا من غيره ذلك الفضل
تصالي فإن الخطب في شأنه سهل²⁵

يقول سيدي ضيف الله عن مؤلفات والده: "ألف تأليف نظما ونثرا وهي في غاية الحسن والفصاحة"²⁶ لقد ألف الشيخ سيدي محمد بن أب مؤلفات كثيرة وكانت جلها - إن لم نقل كلها - تعليمية في النحو، والصرف والعروض، والفقه، كما كانت له شروح لأعمال عربية قديمة قصد من ورائها تعليم الطلاب اللغة العربية، ومن مؤلفاته النحوية نذكر بعضها مجرد ذكر دون تحليل لنقف على مؤلفاته النحوية وغيرها.

المؤلفات النحوية:

كان للشيخ سيدي محمد بن أب في النحو العربي أعمال كثيرة جلها جاء منظوما فقد استطاع أن ينظم مقدمة ابن آجروم في العربية أربع منظومات ثلاثة منها على البحر الرجز والرابعة على البحر الطويل²⁷؛ وفيما يأتي نقف على ثلاثة أبيات من كل منظومة

المنظومة الأولى: نظم مقدمة ابن آجروم نظمها سنة 1120هـ يقول في مطلعها:

قال ابن أب واسمه محمد
مصليا على الرسول المنتقى
الله في كل الأمور أحمد
وآله وصحبه نوي التقى

24 - رحلتي لزيارة قبر الوالد، 360/1.

25 - رحلتي لزيارة قبر الوالد، 360/1.

26 - رحلتي لزيارة قبر الوالد، 361/1.

27 - هذه المنظومات كلها مخطوطات في خزنة السيد بن الوليد بباعبد الله بادرار، وإحدى هذه المنظومات مفقودة إلى حد كتابة هذه السطور.

وبعد فالقصد بذا المنظوم تسهيل منشور ابن آجروم²⁸

وقام بشرحها²⁹

المنظومة الثانية: سماها نزهة العلوم في نظم ابن آجروم نظمها سنة 1144هـ يقول في مطلعها:

نحمدك اللهم يا من أنعمنا وعلم الإنسان ما لم يعلمنا
وبك أسألك أن تصليا على النبي بالبهاء حلينا
سيدنا محمد خير البشر وآله ما لاح فجر وانتشر³⁰

المنظومة الثالثة: كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم نظمها سنة 1157هـ يقول في مطلعها:

لك الحمد يا اله يا من تفضلا ومن علينا بالبيان وأجملا
وأهدي صلاة مع كريم تحية إلى من أتى بالحق للخلق مرسلا
محمد الهادي الأمين وآله وأصحابه والتابعين على الولا³¹

مؤلفاته في علم الصرف:

"منظومة الكافية" وهي نظم في علمي التصريف و الخط³².

ومنها كذلك منظومة في مسائل التمير سماها "روضة النسرير في مسائل التمير" وشرحها وقد قام الأستاذ أحمد جعفري بتحقيق هذا الشرح في رسالته للماجستير سنة 2002.

28 - مخطوطة بخزانة ابن الوليد بباعبد الله ادرار.

29 - ذكره ابنه سيدي ضيف الله، (ينظر: رحلتي لزيارة قبر الوالد، 1/371).

30 - مخطوطة بخزانة ابن الوليد بباعبد الله ادرار.

31 - مخطوطة بخزانة ابن الوليد بباعبد الله ادرار.

32 - وهذه المنظومة مفقودة ولم نعثر لها على أثر في خزانن توات، وقد ذكرها ابنه سيدي ضيف الله، (ينظر: رحلتي لزيارة قبر الوالد، 1/365).

"نيل المراد من لامية ابن المجراد" وه شرح للامية المذكورة في العنوان، وقد قام الأستاذ مختار بوعناني بتحقيق هذا المخطوط.

شرح على المقصور والممدود³³

مؤلفاته في علمي العروض والقوافي:

قصيدة في فك دوائر البحر سماها: "درر النحر في فك البحر" يقول في مطلعها:

بَدَأْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ رَبِّي مُصَلِّيًا عَلَى أَحْمَدَ الْهَادِي الرَّضِيِّ عِلْمِ الْهُدَى
وَأَصْحَابِهِ وَالْأَكْبَرِينَ وَالِإِلَهَ وَتَعُدُّ فَخْذُ فَكِّ النَّحْرِ عَلَى الْوَلَا³⁴

جاء بأبيات في بحر الشعر المهملة ودوايرها يقول:

أَبْيَاتٍ قَدْ تَصَمَّنَا مَا يَأْتِي مِنْ أَبْحُرِ الْخَمْسِ مُهْمَلَاتٍ
فَالْمُسْتَطِيلُ بَعْدَهُ الْمَمْتَدُّ وَالْمَتَوَفَّرُ الْجَدِيدُ يَبْدُوا
ثُمَّ الْعَرِيبُ بَعْدَهُ الْمَشَاكِلُ وَالْمُنْتَدَارُكَ فَخْذُ يَا سَائِلُ
فَالْأَوْلَانِ لِهَمَّا الْمُخْتَلِفُ وَالْمَتَوَفَّرُ لَهُ الْمُؤْتَلِفُ
وَمَا سِوَى الْأَخِيرِ لِلْمُجْتَلَبِ وَهُوَ لَهُ مُتَّقٍ بِهِ حَبِي
وَخُصِصَتْ دَائِرَةُ الْمُشْتَبِهِ بِأَنْ خَلَّتْ مِنْ مُهْمَلٍ فَاثْنَيْ³⁵

منظومة "روائق الحلل في بيان ألقاب الزحافات والعلل" يقول في مطلعها:

قال عبيد ربه محتسبا محمد المزمري نسبا
الحمد لله قد مهدا لنا العروض دينه وأرشد³⁶

33 - لم نقف عليه في خزائن المخطوطات بتوات، وقد ذكره ابنه سيدي ضيف الله (ينظر: رحلتي لزيارة قبر الوالد، 1/371).

34 - مخطوطة بخزانة ابن الوليد بباعبد الله ادرار.

35 - مخطوطة في خزانة ابن الوليد بباعبد الله ادرار.

36 - مخطوطة في خزانة ابن الوليد بباعبد الله ادرار.

مؤلفاته في شروح بعض المتون العربية:

"نفث القلم" شرح على لامية العجم

"الدروع الفارسية" وهو شرح على قصيدة الشقراطية لعبد الشقراطي.

"الذخائر الكنزية" وهو شرح على قصيدة الهزمية.

"النفحة الرندية" وهو شرح على التحفة الوردية لابن الوردية.

مؤلفاته في الفقه:

"تحلية القرطاس في تضمين الخماس"

ورقات في مناسك الحج

"العبري في نظم سهو الأخضرى" وهو نظم في أحكام السهو في الصلاة، يقول في مطلعها:

مرشد من عن سبل الحق عم
على رسول الله سيد الأنام
إنجاز ما كنت به وعدت³⁷

الحمد لله الجزيل النعم
ثم صلاة الله يتلوها السلام
وبعد فاعلم أنني قصدت

وللشيخ سيدي محمد بن أب المزمري عدد كبير من القصائد الشعرية لو جمعت لكانت ديوانا شعريا متكاملا³⁸، وله قصيدة على بحر لم يسبق إليه سماه البحر "المضطرب" لاضطراب تفعيلاته وهي:
فاعلن فعولن فاعلاتن والقصيدة في مدح المصطفى عليه أركى الصلاة والتسليم يقول في مطلعها:

دائما على خير الأنام
قاصدا إلى البيت الحرام³⁹

صل يا إلهي ثم سلم
ما دعاك أو لباك محرم

37 - كتاب العبري في نظم سهو الأخضرى، مطبعة المعارف تميمون، الجزائر، دط، دت.

38 - ينظر: رحلتي لزيارة قبر الوالد، 1/360.

39 - مخطوطة بخزانة ابن الوليد بباعبد الله ادرار.

ومن منظوماته في اللغة منظومة جمع فيها ما جاء من كلام العرب على وزن فاعول لامة سين،

يقول فيها:

رَعَى الْإِلَهَ امْرَأً يُحْسَى الْإِلَهَ لَهُ إِنَّ ذَهَبَ لِخَيْرِ أَهْلِ الْخَيْرِ نَامُوسٌ
ذَلِكَ الَّذِي حَقَّ أَنْ يَهْدَى لَهُ شَرَفًا عَيْنٌ وَخَيْلٌ وَأَبَالٌ وَجَامُوسٌ⁴⁰

وله مؤلفات أخرى يمكن الاطلاع عليها في كتاب الأستاذ أحمد جعفري "الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري حياته وآثاره"، وما يمكن القول حول مؤلفات الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري أن منها ما هو معروف لدى الباحثين ومنها ما هو حبيس الخزائن التواتية يحتاج منا البحث عنه وإخراجه لطلبة العلم دراسة وتحقيقا، ومن مؤلفاته كذلك ما هو مفقود وبالبحث والتردد على الخزائن يمكن العثور عليه.

وفاته:

توفي الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري عن عمر نهاز ستا وستين (66) سنة، يوم الاثنين العاشر من جمادى الثانية سنة ستين ومئة وألف للهجرة (10/06/1160 هـ - 19/06/1747م)، وخنم عليه القرآن مرات قبل أن يصلى عليه، ولا يزال أهل تيميمون يختمون القرآن في المقبرة التي دفن فيها كل خميس إلى يوم الناس هذا.

صارع الشيخ سيدي محمد بن أب المرض قبل وفاته؛ فقد كان مريضا بذات الجنب التي وجد منها ألما شديدا، وتوفي غريبا عن موطنه ومسقط رأسه، وكان ذلك بسبب طلبه العلم، كل هذا ما جعل ابنه سيدي ضيف الله أن يعده من الشهداء⁴¹.

رثي الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري عدد من شيوخ واحة توات وهم من تلاميذه ومنهم ابنه سيدي ضيف الله يقول:

تُوفِيَ الشَّيْخُ فِيهَا عَنْ قَرِيبٍ بَاهُونَ مِنْ جُمَادَى بَغِيرِ لُبْسِ
بِیَوْمِ عَاشِرٍ مِنْهُ بَعَامٍ مِنَ السَّنَتَيْنِ فِي تَحْقِيقِ حُدْسِ
وَفِي ذَا الْعَامِ قَدْ غَارَتْ عِیُونَ كصُوفِيٍّ وَجَنْتُورِ ذِي يَحْسِ

40 - مخطوطة بخزانة الشيخ بن عبد الكبير بالمطارفة تيميمون.

41 - ينظر: رحلتي لزيارة قبر الوالد، 1/379-382.

سقى الله ثراهم كلَّ وبلٍ
من الرِّحمتِ في مَرْدٍ وأوسٍ⁴²

من أقواله:

كان يقول لمن سأله عن نسبه: "تبا لمفتخر بعظم نخر، إنما الخر بالنقى، والأدب المنتقى، وباهٍ إذا باهيت بموجودك لا بجدودك، وبمحصولك لا بأصولك، وبصفاتك لا برفاتك، وبأعلاقك لا بأعرائك، إنَّ السري إذا أسرى فيئفسه، وابن السر إذا سرى عاسرهما"⁴³

ومن أقواله كذلك:

أطلب بني العلم مجتهدا ولا
تسأم ولو بتجنب الأوطان
وتجافي عن حزب الشيطان فقد
أتى إن النساء حبائل الشيطان⁴⁴

وله أيضا:

كم من أديب يسر النفس مخبره
عليه من حُسنِ سِرِّ النَّفسِ آثارُ
وكم تغيلٍ يمُحُّ السمعَ منطقه
كأنه تغلا في العين مِسْمارُ⁴⁵

الخاتمة:

ونختم هذه الورقة البحثية بجملة من النتائج هي كالاتي:

- شخصية العلامة الشيخ بن أب الجزائري التواتي كانت شخصية مؤثرة فيما حولها فقد حاز على التقدير والاحترام من كل من حاط به حيث حل وارتحل.

42 - رحلتي لزيارة قبر الوالد، 359/1.

43 - رحلتي لزيارة قبر الوالد ، ضيف الله ابن محمد بن أب، تح: أحمد ابا الصافي جعفري، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ط، دت، 80/1.

44 - رحلتي لزيارة قبر الوالد، 74/1.

45 - رحلتي لزيارة قبر الوالد، 75/1.

- كثرة تنقلاته جعلته ينشر العلم في مناطق عديدة بتوات وغيرها من المناطق المجاورة كسجلماسة وتلمسان وأروان وشنقيط...
- تعددت مؤلفاته فكانت تشتمل على عدد من العلوم والفنون من لغة بكل علومها، ومن فقه وشعر.
- كثير من مؤلفاته لاتزال حبيسة الخزائن في توات وفي غيرها تحتاج إلى دراسة وتحقيق.

قائمة المصادر والمراجع

1. أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر، أحمد بوساحة، دار هومة، د ط، 2002م.
2. تاريخ السودان، عبد الرحمان السعدي، طبعة هوداس، باريس، 1858م.
3. جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التتمطي التواتي (ت 1374 هـ - 1955م)، مخطوط بخزانة زاوية المهديّة، أدرار.
4. درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، محمد بن عبد الكريم البكري، مخطوط بخزانة كوسام.
5. رحلتي لزيارة قبر الوالد ، ضيف الله ابن محمد بن أب، تح: أحمد ابا الصافي جعفري، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ط، د ت.
6. كتاب العبقرى في نظم سهو الأخضرى، مطبعة المعارف تميمون، الجزائر، د ط، د ت.
7. مجلة عصور الجديدة، ع: 3-4، (عدد خاص)، خريف 1432هـ/2011م، شتاء 1433هـ/2012م، جامعة وهران 1، الجزائر.
8. محمد بن أب المزمري الجزائري التواتي وجهوده في النحو، عماري عبد الله، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرياح ورقلة، 2010م.
9. مخطوطة در النحو في فك البحور.
10. مخطوطة كشف الغموم.
11. مخطوطة ما جاء في كلام العرب على وزن فاعول لامة سين.
12. مخطوطة نزهة الحلوم.

13. مخطوطة نظم مقدمة ابن آجروم.

14. منظومات كلها مخطوطات في خزانة السيد بن الوليد بباعبد الله بادرار، وإحدى هذه المنظومات مفقودة إلى حد كتابة هذه السطور.

15. نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، محمد بن المبروك البداوي، مخطوطة بخزانة الجعفرين ببودا.